# ملكوت السماوات ومعناها في انجيل متّى

للاب مرسال شوفاني اليسوعي مدرّس العائلة

قرأنا في الجزء الثاني من قاموس الكتاب المقدّس الذي نشرهُ حديثًا الدكتور جورج بوست ما كتبهُ في شرح لفظة « ملكوت السماوات » قال (ص٣٧٥):

ان عبارة ملكوت السماوات تفيد عدّة معانٍ: حياة التقوى في القلب (مت ٦: ٣٣) والنظام الذي اتى المسيح ليؤسّسهُ (مت ٦: ١٧ و١٣: ١١) وتدخُّل شعب اسرائيل حسب اختيار الله (مت ٢١: ٤٣) وعهد المسيح وتسلُّطه (مت ٦: ٣٨) وسلطان الله على الكل (مت ٦: ١) والحالة السموية (مت ٨: ١١) . . . . اما الكتبة المنظورة فليست الملكوت غير انها تشبههُ وهي تظهر مدرسة تعلّم اعضاءها كيفيّة هذا الملكوت والاستعداد لهُ واما الكتبة غير المنظورة فهي ملكوت السماوات »

فرأينا في هذا الشرح ما لا يوافق الواقع ولذلك احببنا ان نعمل النظر في هذه العبارة لنقف على معناها الاصليّ ومعانيها الثانويّة المشتقّة منها فنقول:

ان عبارة « ملكوت السماوات » وردت في الاسفار المقدّسة ٣٢ مرّةً وما يُقضى بهِ العجب انها وردت في انجيل القديس متّى وحدهُ فلا ترى لها اثرًا في غيره من المبشّرين. وانما جاءت على صورة أخرى في اسفار العهد الجديد فيقال « ملكوت الله » او « ملكوت الآب ». فينبغي اذن وفقًا لقوانين تفسير الكتاب ان نبحث عن معنى كلّ لفظة بمفردها ثم عن معناها الاضافيّ ونقابل بين هذه العبارة وبين النصوص الشبيهة بها الواردة في الاسفار المنزلة فضلًا عن مراعاة لغة الكتبة ولغة الجمهور

ونقدّم اولًا شرح لفظة « السماء » في قولهِ « ملكوت السماوات » لنتّبع بعد ذلك في تفسير كلمة « الملكوت » فنقول:

يراد بالسماء في عرف الشعوب اجمالًا وبلفظهِ العربي خصوصًا ما سما فوق رأسنا اي ارتفع من شبه قبّة زرقاء مرصّعة بالكواكب تمتدُّ الى الآفاق. ثمَّ تصوَّر الناس انَّ عرش الله ومقامهُ وراء هذه القبّة لحسنها وسموّها فقالوا انهُ تعالى يسكن السماء (مزامير ٢: ٤) وقال يعقوب اذ نظر في الحلم سُلَّمًا منتصبة على الارض ويستند رأسها الى قبّة السماء والرب واقف فوقها (تك ٢٨: ١٧): « ما اهول هذا الموضع ما هذا الّا بيت

الله هذا باب السماء » ومن ثمّ نسبوهُ عزّ وجل الى السماء فدعوه « إله السماء » او « إله السماوات » (تك ٢٤: ٧ و ٢ ت ش ٣٦: ٢٣)

ثمّ اقتصر الناس على اسم السماء او السماوات فدعوا به الرب الاله على طريقة المجاز المرسل كما هو جارٍ في اصطلاح كلّ الشعوب. ألا تراانا نقول مثلاً: « انتصرت فرنسة على العدوّ » ونحن نريد اهل فرنسة. ونقول: « حكم عليه المجلس » اي اصحابهُ فكذلك دُعي سبحانهُ وتعالى باسم السماء ونحن نريد « مَلِك السماء ». ومثال ذلك ما جاء في سفر دانيال (٤: ٢٣) حيث انذر النبيُّ نبوكدنصّر بالعقاب قال: « ان ملكك يُبقى لك بعد ان تعلم ان السلطان للسماوات » يريد ان السلطان لله فعبّر عنهُ بالسماوات. ومثل هذا ليس بنادر في الاسفار الالهيّة (راجع سفر المكابيين الاوّل ٣: ٥٠ و ٤: ١٠) وهو يوافق كلّ تفاسير المفسرين وينطبق على الاستعمال اللغويّ

وعليه ترى ان للفظة السماء معنيين معنًى حقيقيّ وهو ما تنظرهُ العيان كأنّ اليه نيطت الكواكب يتخيّلهُ البشر كسكنه تعالى. ومعنًى مجازيّ يُراد به اهل السماء وخصوصاً الرب تبارك اسمهُ

فهلمّ بنا الآن نُمعن النظر في معنى لفظة الملكوت. ولمّا كانت هذه اللفظة في العربيّة توافق وزنًا ومعنًى الكلمة العبرانيّة malkuth والسريانيّة malkutho دعنا نتبيّن ما كتبهُ العرب في معجماتهم عن هذه اللفظة. قال ابن الاثير في النهاية: « الملكوت اسم مبنيّ من المُلك كالرهبوت من الرهبة والجبروت من الجبر » وقال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (ص ١٣٣٩): « الملكوت صيغة المبالغة بمعنى المُلك والملك هو التصرّف الصحيح بالاستعلاء » وقال في القاموس: « ان الملكوت العزّ والسلطان ». قال في التاج: « يُقال ملكوت العراق وملكهُ اي عزّهُ » وقال في مفردات الراغب: « والملكوت مختصّة بملك الله عزّ وجلّ » وشرح اللحياني قولهُ « وبيده ملكوت كل شيء » اي سلطانهُ وعظمتهُ

فيتبيّن من هذه الآراء انّ الملكوت مرادفة للفظة المُلك وانّ لها كل معانيها. وان سأل سائل وما هي معاني لفظة المُلك قلنا انّ للملك ثلاثة معاني: الاول المملكة اي تخوم معلومة يملك عليها الملك وفي هذا المعنى يُضاف الى اسم علم شخصيّ والى اسم مكان او اسم شعب. فنقول مثلاً: مُلك يهوذا وملك ايطالية وملك الكلدان اي البلاد التي يحكم عليها يهوذا وملك ايطالية والكلدان

ويلحق بهذا المعنى الاول للملك معنًى آخر مجازي يراد به اهل المملكة والشعب الخاضع لحكم الملك كما قلنا سابقاً عن السماء انهُ يعني ايضاً صاحب السماء.

والمعنى الثاني للمُلك هو مشتقّ من هذا المعنى الاول ويدلّ على إمرة الملك وتدبيره لمملكته وسياسته لرعيّته وبهذا المعنى لا يضاف الّا لعلَم شخصي فتقول: مُلك داود ومُلك المسيح» تريد تملُّكهما ورعاية دولتهما. ولهذا المعنى الثاني ايضاً معنًى استعاري اذ تُضاف لفظة المُلك لبعض اسامي المعنى فيُقال مثلاً: «مُلك النعمة وملك الخطيئة» اي تسلُّطهما. وكذلك نقول «مُلك الحب» اي نفوذهُ وسيطرتهُ

اما المعنى الثالث للفظة المُلك فهي السلطة الملكيّة والعزّ والسلطان. وهذا المعنى كثير في العربيّة وغيرها. ويُستعار للدلالة على ابُهة المُلك وجاههِ

فهذه المعاني الثلاثة للمُلك مرتبطة ببعضها يشتقُّ احدها من الآخر اشتقاقاً طبيعيًّا

واذا اعتبرتَ لفظة «الملكوت» رأيت لها معاني «المُلك» الثلاثة الّا انها مختصة بالله عزَّ وجلَّ كما سبق عن الراغب الاصفهاني. وربَّما وردت في غيرهِ تعالى كما جاء في القاموس حيث قال «ملكوت العراق» اي ملكهُ. ويؤيد اطلاقها على ما سوى الله ان السريان والعبرانيين يستعملونها كذلك واللفظة العربيّة مأخوذة من العبرانية والدليل عليهِ ان وزن «فَعَلوت» ليس بعربي كما اقرَّ بذلك اهل اللغة

فلنَعُد الآن بعد هذه المقدمات الى تفسير عبارة «ملكوت السماوات» فنقول ان لفظة «الملكوت» بنسبتها الى «السماوات» انحصر معناها وتقيَّد فلم تَعُد تُطلق على المعنيين الاخيرَين بل على المعنى الاوّل فقط لاضافتها الى اسم مكان. وقد قلنا في تفسير معنى «السماوات» انها تدلّ على مكان وخصوصاً على مسكنهِ تعالى عزَّ وجل. فقولنا اذن «ملكوت السماوات» يراد بهِ المكان الذي فيهِ مُلك الله عزَّ وجلّ او المُلك الذي هو في السماء. وهذه العبارات مرادفة لقولنا «الملكوت السماوي» كما انَّ قولنا «مملكة فرنسة» و«المُلك الفرنساوي» عبارتان مترادفتان

واذا تصفَّحنا انجيل القديس متى حيث وردت هذه العبارة وجدنا انَّ كثيرًا من الآيات التي تتضمَّنها يراد بها هذا المعنى اي الملكوت السماوي او السماء حيث يملك الله عزَّ وجل بين اوليائهِ. قال البشير المذكور في الفصل السابع (ع ٢١) عن لسان الرب:

« ليس كلُّ من يقول لي: يارب يارب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات »

فان تبيُّن هذه الآية يجد ان المراد هنا محلٌّ مخصوص لا يبلغهُ سوى الابرار الذين يتمّمون ارادة الله. ويظهر ذلك من لفظة « الدخول » التي استعملها ومن قرينة الكلام السابق حيث قال الرب: « ادخلوا من الباب الضيّق لانهُ واسع الباب ورحبٌ الطريق الذي يؤدي الى الهلاك . . . ما اضيق الباب وأحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة . . » فبيَّن جليًّا ان المراد بملكوت السماوات هو مكان الحياة الذي يملك فيه تعالى مع الصالحين

وكذلك جاء في متّى (٨ : ١١—١٢): « اقول لكم ان كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات امّا بنو الملكوت فيُلقَون في الظلمة البرانيّة هناك يكون البكاء وصريف الاسنان » فذكرهُ للظلمة البرّانيّة وللبكاء وصريف الاسنان لم يُبقِ شكًّا في انَّ المراد بملكوت السماوات مقام الله واوليائهِ في السماء اذ قابل بين حالة المختارين المنعَّمين في السماء وحالة الهالكين المعاقبين في الجحيم

وكذلك ايضًا في الفصل التاسع عشر (ع ٢٣) قال الرسول عن لسان الرب: « انهُ يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات » وهنا يراد بملكوت السماوات بلا شك السماء ومقام الله مع تدبيره. يدلُّ على ذلك ما يتقدم هذه الآية وقد اخبر المبشّر ان شابًّا غنيًّا جاء الى يسوع وطلب منهُ « ماذا اعمل من الصلاح لأرث الحياة الابديّة » اعني انهُ سألهُ ما هي الطريقة لكي يحظى بالسماء. ولمّا اشار اليهِ المسيح ان يبيع كل مالهِ ويتبعهُ ليكون لهُ كنز في السماء ذهب الشاب كئيبًا فحينئذٍ قال الرب: « انهُ يعسر على الغني ان يدخل ملكوت السماوات »

فكل هذه النصوص وغيرها ايضًا تدلّ بنوع واضح على انَّ عبارة « ملكوت السماوات » في بشارة القديس متّى تدلُّ على السماء والملك الابدي الذي لا يدخلهُ الّا الذي يتمّمون ارادتهُ تعالى ويتجرّدون من حبّ الغنى ويمارسون العفة ويخصون انفسهم من اجل ملكوت السماوات (متى ١٩ : ١١) ويعملون غير ذلك من الاعمال الصالحة التي توهّل الانسان الدخول في الحياة الابديّة

*

وهذا المعنى الاول قد سلَّم بهِ الدكتور بوست في النص الذي ابتناهُ عنهُ. ولكن الذي انكرهُ جنابهُ انَّ عبارة ملكوت السماوات لا يراد بها الكنيسة المنظورة. وقولهُ هذا يوافق تعاليم اصحاب الاصلاح الموهوم الذين ينكرون ان المسيح اقام جماعة منظورة على الارض وسلَّم لبعض افرادها سياسة المؤمنين

فلكي نبطل هذا الزعم يقتضي علينا ان نبيّن ان عبارة « ملكوت السماوات » تدلُّ حقيقةً ايضاً على معنًى آخر صحيح اي على ملك المسيح المنظور وعلى الجماعة التي اقامها على الارض وسلَّم مقاليد سياستها الى هامة الرسل بطرس الصفا فنقول:

قلنا في شرح لفظة السماء ان من معانيها الثابتة في الكتاب الكريم " صاحب السماء " كما يُقال «بيت فلان » اي اهلهُ واصحابهُ على طريقة المجاز المرسل. فينتج من ذلك ان قولنا « ملكوت السماوات » يمكن تأويلها ايضاً بمعنى « ملكوت إله السماوات » او « ملكوت الله » وهذا ايضاً لا ينكرهُ علينا احد ويسهل اثباتهُ بالانجيل الطاهر فاننا اذا قابلنا بعض اقوال الرب التي اوردها القديس متى مع أقوالهِ كما ذكرها القديسان مرقس ولوقا وجدنا ان هذين المبشرين بدلًا من « ملكوت السماوات » يرويان « ملكوت الله » فان قول متَّى مثلاً ( ٣ : ٢ ): « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات » جاء في مرقس (١ : ١٥): « قد اقترب ملكوت الله فتوبوا » وكذلك قول الرب في متى (٥ : ٣): « طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات » ذكرهُ لوقا (٦ : ٢٠): « طوبى لكم ايها المساكين فان لكم ملكوت الله »

ولكن ان كانت عبارة « ملكوت السماوات " مرادفة لعبارة « ملكوت الله » لا بدَّ من القول ان لكلتيهما معنى مُلك الله المنظور وخصوصاً ملك المسيح بواسطة كنيستهِ. ولبيان ذلك يقتضي ان نذكِّر القراء ان الشعب اليهودي قبل مجيء ابن الله كان ينتظر بفروغ الصبر مُلكاً منظوراً وعدتَ بهِ الانبياء المسيحَ ابن داود مع شعبهِ المختار. قال دانيال (٢ : ٤٤) بعد ذكرهِ الممالك التي تقوم بعد المملكة البابليَّة: « وفي ايام هؤلاء ( اي الرومان ) يقيم إله السماء مملكةً لا تنقضي الى الابد ومُلكهُ لا يُترك لشعب آخر فتسحق وتفني جميع الممالك وهي تثبت الى الابد » وقال في فصل آخر (٧ : ١٣— ١٤): « ورأيتُ . . فاذا بمثل ابن البشر . . أُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب

والامم والألسنة يعبدونهُ وسلطانهُ سلطانٌ ابدي لا يزول وملكهُ لا ينقرض ». وكان قبل دانيال بشّر بذلك غيرهُ من الانبياء كاشعيا وحزقيال وارميا وهوشع وميخا وزخريًا ووصفوا مُلك المسيح وصفًا مدقّقًا لا يُبقي ريبًا في انهُ سوف يكون مُلكًا منظورًا يظهر في شعب يختاره الربُّ ويقدّسهُ ويختصهُ بنفسه

واذا فتحنا الانجيل وجدنا ذكر هذا المُلك في اوّل صفحاتهِ قال الملاك للعذراء (لوقا ١ : ٣١) : « تلدين ابنًا تسمينهُ يسوع . . وسيعطيهِ الرب الإله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء ». وهذا المُلك لم يسكت عنهُ المسيح عند كرازتهِ لليهود بل تراهُ اول ما يبشّرهم بهِ ويقول لهم : « توبوا فقد اقترب ملكوت الله » ريسمّي انجيلهُ « انجيل المُلك » (راجع متى ٤ : ٢٣ و ٩ : ٣٥ ومرقس ١ : ١٤) . فترى من ذلك موافقةً تامّة بين نصوص العهد القديم والعهد الجديد فكلاهما يذكر مُلكًا للمسيح منظورًا ليس فقط خفيًا في القلوب وان كان هذا المُلك روحيًا لا زمنيًا كما كان يتخيّلهُ اليهود . وما هذا المُلك الّا ما يدعوهُ القديس متى « ملكوت السماوات » ويدعوهُ سائر الانجيليين « ملكوت الله » اعني بهِ كنيسة المسيح التي انشأها ليجعل فيها ملكهُ الى الابد

ويظهر هذا من عدّة آيات ورد فيها ذكر « ملكوت السماوات » او « ملكوت الله » ممّا لا يمكن فهمهُ الّا عن هذه مملكة المسيح الارضيّة والروحيّة معًا اي الكنيسة المقدّسة . قال عزّ من قائل (متّى ٢٥ : ١ و ٢) : « يُشبه ملكوت السماوات عشر عذارى . . خمسٌ منهنّ جاهلات وخمسٌ حكيمات . الخ » . فترى من قرينة المعنى ان عبارة « ملكوت السماوات » لا تُطلق هنا على السماء مقرّ الطوباويين لان السماء لا يدخلها غير الابرار ونرى بخلاف ذلك في الآية المذكورة عذارى جاهلات يطردهنّ الرب من بيت العرس المكنّى بهِ عن مقام القديسين فليس الكلام اذن هنا عن السماء . . وان استقرينا بقيّة معاني هذه العبارة كما ذكرها الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدّس لا نجد لها معنى يوافقها هنا الّا ان نقول انّ المراد بها هنا كنيسة الله المنظورة . وهو رأي القديس توما شمس المدارس في تفسيرهِ لهذه الآية ورأي القديس غريغوريوس اللاهوتي كما سترى

وقال ايضًا الرب لذكره السجود (متى ١٣ : ٢٤) : « يشبه ملكوت السماوات رجلًا

زرع زرعاً جيداً في حقله . . . فجاء عدوه وزرع في وسط القمح زؤاناً ومضى الخ ) ثم قال في شرح هذا المثل ( ١٣ : ٣١ ) ان في وقت الحصاد اي يوم الدينونة سيرسل الحصادون اي الملائكة ليفرقوا بين القمح والزؤان « فيجمعون من مملكته كل الشكوك وفاعلي الاثم ويلقونهم في اتون النار ». فمن البديه ان عبارة ملكوت السماوات هنا لا تدل على دار الخلود وانما المراد بها كنيسة المسيح التي تحوي صالحين وطالحين فيُفرز بينهم يوم الدين . قال القديس غريغوريوس اللاهوتي في شرح مثل العذارى : « كيف استطاع الرب ان يشبه ملكوت السماوات بعذارى حكيمات وجاهلات ونحن نعلم ان السماء لا يدخلها احد من الأمة الخاطئين ؟ ولكن علينا ان نعلم انهُ يراد في الاسفار المقدسة مراراً عديدة باسم « ملكوت السماوات » الكنيسة الحاضرة وعنها قد قيل في آية أخرى : يُرسل ابن البشر ملائكتهُ ويجمعون من مملكته الشكوك . والشكوك كما لا يخفى لا يمكن وقوعهُ في دار النعيم » انتهى كلامهُ

وكذلك شبَّه السيد المسيح ( متى ١٣ : ٤٧ ) « ملكوت السماوات بشبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كل جنس من جيد ورديء » . وهذه الشبكة ليست الَّا الكنيسة التي اتخذ لها المسيح رسلهُ كصيادين يصطادون البشر ومن هؤلاء اخيار وأشرار يميزهم الله يوم الدينونة وقد نصَّ على ذلك الآباء والمفسرون

وكذلك شبَّه ( متى ١٣ : ٣١ ) « ملكوت السماوات بحبة خردل » صارت شجرة كبيرة تستظل تحت اغصانها طيور السماء . أفلا يظهر لكل ذي عينين ان المراد هنا ليس السماء حيث السعادة دائمةٌ لا يطرأ عليها تغيير بل الكنيسة التي ظهرت في اول امرها صغيرة في اورشليم ثم امتدت الى اقاصي العالم فاستظل بها جميع الامم

وكذا قل عن امثال اخرى ورد فيها ذكر ملكوت السماوات ضربها الرب للدلالة على كنيسته المنظورة كمثل الملك الذي يجمع عبيده ليؤدوا لهُ الحساب ( متى ١٨ : ٢٣ ) ومثل رب البيت الذي خرج صباحاً ليستأجر عملة ( متى ٢٠ : ١ ) ومثل الملك الذي ارسل يدعو المدعوين لعرس ابنه ( متى ٢٢ : ٢ ) وفي كل هذه الامثال لا يُراد بملكوت السماوات سوى كنيسة المسيح التي يصفها الرب بصفات متنوعة فتارة يمثل رأسها وتارة اعضاءها ومرة تعليمها وطوراً الوسائط التي تتقدس بها النفوس كالنعمة والاسرار حتى انهُ لو جمعنا بين هذه الصفات كلها لوجدنا انهُ لا ينقص سمةٌ من سمات الكنيسة الواحدة الجامعة

المبنيَّة على صخرة الايمان الثابتة . وهذه هي الكنيسة التي قامت بدلًا من الشعب اليهودي المستلم كتز « ملكوت الله ». قال الرب لليهود (متى ٢١ : ٤٣) : « اقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأُمة تصنع ثمرهُ » فبيَّن بنوع جليّ ان الكنيسة صارت ملكوت الله ورثت هذه الرتبة بعد ان وذل الرب شعبهُ ورثتهُ الاول لما وجد فيهِ من كثرة المآثم وعدم الاهليَّة

وخلاصة القول ان عبارة ملكوت السماوات تدل اصلًا في الجيل متى على السماء ودار الخلد حيث يملك الله مع اوليائهِ . ولكن لها معنًى آخر ثابتٌ صحيح وان كان مشتقًّا من المعنى الاصليّ اعني انها تدل على كنيسة المسيح والبرهان الاول على ذلك ترادُفها عبارة « ملكوت الله » الدالة في أحوال كثيرة على هذه الكنيسة . والبرهان الثاني نصوص وآيات عديدة لا يمكن اطلاقها على السماء بل على الكنيسة . والبرهان الثالث اتفاق الآباء على هذا الشرح والبرهان الاخير ان المسيح جعل الكنيسة في مقام الشعب اليهودي وسلَّم اليها بدلًا منهُ « ملكوت الله ». وفي هذا يُنقض قول صاحب قاموس الكتاب المقدس الذي نكر كون الكنيسة المنظورة هي ملكوت السماوات . والسلام

# حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ومضت ثلاثة أيام على المريضة ونُوَب الانحطاط والاضطراب تتعاقب عليها دون ان يحدث تغيير محسوس في حالتها السمومية لان أدوار الهذيان كانت دائمًا تتجدَّد عليها بلا اختلاف في اعراضها

وبينما كان زين ساهرًا في ذات ليلة على امرأتهِ اخذتها نوبةٌ شديدة وصوَّرت لها الحمى انها لم تزل تائهة تحت البرَد والمطر في تلك الطرق المستوعرة التي مرَّت بها ثم اعاد الوهم على ذهنها زيارتها للاب يوحنَّا ذاك الشيخ البارّ فاخذت تبسط لهُ ادلَّة حبِّها لزوجها بلهجة من الاخلاص كانت لها حركة عظيمة في قلب زين واخيرًا تمثَّلت لها مقابلتها الاخيرة